لقد كبرت

— أحمد صوان - سورية —

كل الأطفال يحبون المسجد الأقصى، ويحبون أن يزوروه ويصلّوا فيه، ولكن لماذا لا يأتون إلى زيارته؟! لماذا يقفون بعيدين عنه وهم يحبونه؟

أنا طفل، بلدي بعيد عن القدس، لا أستطيع الوصول إليه، ولكن الأطفال القريبين منه ماذا يمنعهم؟!

سمع أبو سامي ولده سامي يتكلم بصوت مسموع وهو يفكر بهذا الموضوع، وينظر إلى صورة للمسجد الأقصى، فقال له:

- بم تفكر؟

سامي: أبي.. المسجد الأقصى حزين؛ لأن الأطفال لا يصلّون فيه، ألا يحبونه؟

الأب: لا يا ولدي، الأطفال كلهم يحبونه، ويحبون أن يصلّوا فيه ويزوروه، كيف لا يحبونه، وقد كان القبلة الأولى، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرِّحال؟! ولكن..

سامي: ولكن ماذا يا أبي؟

الأب: تعال يا ولدي لأريك.. انظر هذا الفلم عن القدس.. وسوف تعرف.

بدأ الفلم وظهرت صورة القدس على الشاشة، فبادر سامي قائلاً:

- هذه القدس يا أبي، ما أجملها!

الأب: حقًّا ما أجملها! ولكن انتظر حتى نرى ما حول المسجد.

تغيّر المشهد: الجنود الصهاينة يحملون السلاح ويطلقون النار بوحشية على الناس والأطفال، وسيارات الإسعاف تحمل الجرحى كبارًا وصغارًا.. لاحظ الأب تأثُّر سامي بهذه المشاهد، فقال:

- أرأيت يا ولدي؟ هؤلاء الأعداء الصهاينة هم الذين يمنعون الناس من الوصول إلى المسجد.

سامي: لماذا يا والدي؟

الأب: هؤلاء سرقوا أرضنا، والآن نريد أن نسترجعها.

سامي: وماذا يفعل هؤلاء الأطفال والشباب؟

الأب: يرمون الحجارة، سلاحهم الوحيد الآن. لا يعرفون تعبًا ولا ملالاً.

سامي: ألا يخافون يا أبي؟

الأب: يخافون؟! هذه الكلمة لا يعرفونها، انظر إلى وجوههم. لم يستطع الخوف الوصول إليها. وكيف يخاف صاحب الحق يا بني؟ السارق والمعتدي هو الذي يخاف، حتّى إنّ تظاهر بالجرأة والشجاعة.

سامي: وماذا تفعل هذه الحجارة أمام تلك الأسلحة؟!

الأب: تزلزل أعداءنا ياولدي، الحجر سلاح يخيف الصهاينة، ولن ينتصروا بسلاحهم و لو كان حديثًا؛ لأن من يحمل السلاح عدو مغتصب جبان... أمّا الحجارة فخلفها بطل حقيقيّ ولو كان صغيرًا.

هذا الحجر يا ولدي يخيف الأعداء.. وإن شاء الله سيدمرهم. ولكن علينا أن نساعدهم بالمال، ونحاول أن نقاتل معهم، وأن ندعو لهم، وبإذن الله سننتصر على الصّهاينة قريبًا، ونزور المسجد الأقصى من جديد، وسنكون سعداء به، وسيكون سعيدًا بنا أيضًا.

ظهر الحزن والأسى على محيّا سامي، فذهب إلى غرفته وأحضر كلّ ما ادّخره في حصّالته ثمّ أخرج منها ثمن قلم ودفتر، وقدّم الحصالة إلى أبيه قائلاً:

- أبي، هذه لأطفال فلسطين!

ضمّ الأب ابنه باعتزاز وقال:

- أحسنت يا ولدي؛ لأنك تشارك أهلنا أحزانهم، وإن شاء الله قريباً تشرق شمس النصر وتشاركهم أفراحهم..

سامي: يا أبي.. وإنْ منعوني من زيارة الأقصى فلن أستسلم، فهو في قلبي، ولن يُخرجه أحد من قلبي، وسأستعد لهؤلاء الدخلاء.

تبادل الأب وابنه ابتسامة متفائلة، ورفعا علامة النصر، وقال الأب بسعادة:

- لقد كبرت يا ولدي، لقد كبرت يا سامي.